التواصل الاجتماعي بين إباضية المغرب الأوسط وإباضية المغرب الأدنى

"خلال القرنين 4و5هـ / 10و11م قراءة في العوامل والمظاهر "

Social Communication between the Ibadites of the Middle Maghreb and the Ibadites of the Near Maghreb during the Two Centuries 4 and 5 H / 10 and 11 H: Reading about Factors, Manifestations, and Effects

علال بن عمر"

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر *allal39000@gmail.com*

معاش أسامة

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي الجزائر ، *maache-oussama@univ-eloued.dz*

تاريخ الاستلام 2023/05/16 تاريخ القبول 2023/05/27

الملخص

دخل المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب الاسلامي مطلع القرن2هـ/8م، وسيطر على مجال واسع من طرابلس إلى تاهرت وخاصة فترة قيام الدولة الرستمية سنة 160هـ/ 776م،لكن بعد سقوط الدولة الرستمية على يد الفاطميين سنة 296هـ/909م عرف إباضية المغرب حالة من اللاإستقرار، أدت بهم إلى التراجع والانحسار، وهو ما أدى بهم إلى تفعيل التواصل فيما بينهم للحفاظ على مذهبهم من الاندثار، كما أنهم استحدثوا نظام العزابة مطلع القرن 5هـ/11م والذي أعطى للتواصل بعدا آخر ، وقد أردت في هذه الورقة البحثية أن أسلّط الضوء على موضوع التواصل الاجتماعي بين إباضية المغرب الأوسط (تاهرت-ووارجلان وأريغ وأسوف والزاب) وإباضية المغرب الأدنى(جزيرة جربة وبلاد الجريد وجبل دمر ونفوسة) بعد سقوط تاهرت، أين برزت حواضر إباضية صحراوية فعّلت التواصل فيما بينها، بغرض نشر الفكر الإباضي والحفاظ عليه من جهة، وتبادل المعارف والأفكار بينها من جهة أخرى.

وقد وقفنا على عوامل التواصل بين إباضية المغربين الأوسط والأدنى، وكيف استطاع إباضية المغربين بعامل التواصل التخفيف من وطأة نكباتهم وهزاتهم العنيفة التي كادت أن تعصف بهم فحوَّلوها إلى تواصل علمي واجتماعي بين حواضر المغربين كما أبرزنا آثار ذلك التواصل ونتائجه على حواضر المغربين الأوسط والأدنى.

الكلمات المفتاحية: الاباضية، المغرب الأوسط، المغرب الأدنى، التواصل، الانتقال، المجتمع.

Abstract*:*

The Ibadhi sect entered the Islamic Maghreb at the beginning of the century 2 H/ 8 C, and dominated a wide range of Tripoli to Tahert, especially during the establishment of the Rustamid State in 160 H/ 676 C, however after the collapse of

Rustamid State by the Fatimids in 296 H/ 909 C, the Ibadites of Maghreb witnessed a state of instability led them to withdrawal and recession, this led them to activate communication between them to protect their sect from extinction. They also created the system of Al-Azzaba at the beginning of the 5 H/ 11 C which gave to the communication another dimension. In this research paper, I wanted to shed light on the issue of social communication between the Ibadites of the Middle Maghreb (Tahart and Orjalane, Arigh and Assouf, and Azzab) and the Ibadites of the Near Maghreb (Djerba Island, Jaride country, Demer Mountain, and Nfoussa) after the collapse of Tahart, where desert Ibadites cities emerged and activated communication between each other, to spread and protect Ibadi thought from on one hand, and exchanging knowledge and thought on the other hand. We have examined the factors of communication between the Ibadites of the Middle and Lower Maghreb, and how the Ibadites of both Maghreb, through the factor of communication, could alleviate their calamities and their strong shocks that could afflicted them, where they transformed it into scientific and social communication between the cities of the Maghreb. We also highlighted the effects and consequences of that communication on the cities of the Middle and the Near Maghreb.

Keys Words*: The Ibadite, The Middle Maghreb, The Near Maghreb, Communication, Transfer , Society.*

* المؤلف المراسل

مقدّمة:

إن تسرّب الأفكار والآراء والعقائد من بلد إلى بلد لا يمكن أن يتحدَّد بزمن، ذلك أنّه يكون تدريجيا، حيث يبدأ بالفرد ليصل إلى الجماعة، ويعدّ التواصل بين المجتمعات -خاصة المجتمعات ذات المذهب الواحد- أهم وسائل انتقال الفكر من مكان إلى مكان، وبالتواصل دخل المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب كغيره من المذاهب الأخرى، وقد بدأت معالم المجال الإباضي المغربي في التشكُّل بداية مع انتشار المذهب واعتناق أهل المغرب له، واقتناعهم بأفكاره ومبادئه، وكان ذلك متزامنا مع المراحل الأولى لتشكّل الفكر الإباضي بالمشرق؛ أي فترة نشاط حملة العلم المغاربة على أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالبصرة وحركاتهم وتنقلاتهم وهجراتهم البينية في ربوع بلاد المغرب منذ النصف الثاني من القرن2هـ/8م، ويعدّ ذلك النشاط أحد أساليب التواصل الداخلي في بيئة المغرب، والذي أسهم في عملية انتقال الفكر سواء من المشرق إلى المغرب أو بين حواضر بلاد المغرب في وقت لاحق.

خطّ حملة العلم الخمسة عبْر مسالكهم التي سلكوها مجالا إباضيا؛ بدأ في التوسع والتشكُّل شيئا فشيئا عبر الزمن، خاضعا لمدى اعتناق قبائل المغرب للمذهب، ليبدأ المجال في التوسع نتيجة انتجاع تلك الجماعات الإباضية الأولى للمجال الجغرافي الواسع الممتد بين طرابلس وجبل نفوسة حتى الجريد التونسي؛ ثم الزاب الكبير من الأوراس حتى أريغ؛ إلى غاية ناحية تاهرت، ولم تعرف بلاد المغرب مبادئ وتعاليم المذهب الإباضي إلا بظهور حملة العلم الذين أخذوا عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وكان أوّلهم ابن مغطير النفوسي الجناوني، والذي انتقل إلى البصرة وأخذ عن أبي عبيدة، ثم قدِم بعده الخمسة المشهورون بـ"حملة العلم المغاربة"، وقد كُلّلت جهود حملة العلم بتأسيس إمامة إباضية أولى على يد أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة 140هـ/ 757م، ثم إمامة ثانية على يد عبد الرحمان ابن رستم 160هـ/776م، والتي ارتقت إلى مصاف الإمارة أو الدولة، وأصبحت عاصمتها تاهرت مدرسة فكرية وقبْلة علمية لكل إباضية المغرب، إذ أسهمت في استقطاب عديد الإباضية إليها قادمين من حواضر المغرب الأخرى؛ كجبل نفوسة وجربة وبلاد الجريد وغيرها فشكلت نوعا آخر من التواصل بين تلك الحواضر.

لكن بعد سقوط الدولة الرستمية على يد الفاطميين سنة 296هـ/909م عرف إباضية المغرب حالة من اللاإستقرار، حيث دخلوا دوّامة الهروب- وهي عبارة عن هجرة اضطرارية- شكلت نوعا من التواصل وإن كان نتيجة خوف من ملاحقة المخالفين لهم، سواء من الشيعة الفاطميين أو حتى السلطات السنّية بعد ذلك، الأمر الذي جعل من الحواضر الجنوبية لبلاد المغرب –على غرار جربة وبلاد الجريد ووارجلان وأريغ وسوف- ملاذا آمنا للجماعات الإباضية، فعرفت تلك الحواضر هجرات فردية وجماعية من إباضية الشمال إليها، واستطاعت تلك الحواضر أن تستوعب الجماعات الإباضية وأن تستغل وجودهم فكريا واجتماعيا واقتصاديا، وبذلك شهدت نهضة فكرية واقتصادية قلَّما عرفتها حواضر الصحراء عبر عصورها .

وقد أردت في هذه الورقة البحثية أن أسلّط الضوء على موضوع التواصل الاجتماعي بين إباضية المغرب الأوسط (تاهرت- ووارجلان وأريغ وأسوف والزاب) وإباضية المغرب الأدنى(جزيرة جربة وبلاد الجريد وجبل دمر ونفوسة) خاصة بعد سقوط تاهرت، أين برزت حواضر إباضية صحراوية فعّلت التواصل فيما بينها بغرض نشر الفكر الإباضي والحفاظ عليه من جهة، وتبادل المعارف والأفكار بينها من جهة أخرى.

ويبدو أن الصراعات السياسية والمذهبية أثرت بشكل واضح في ظهور حركة الهجرة أو ربما نطلق عليها بما يعرف اليوم بالتهجير القسري، ونقف هنا على مثالين يبرزان هجرة الاباضية الاضطرارية إلى أماكن أكثر أمنا؛ الأول كان عند سقوط العاصمة السياسية تاهرت والذي تسبَّب في ظهور هجرات فردية وجماعية نحو حواضر الجنوب خاصة وارجلان والجريد وجربة، وأدى ذلك إلى إحداث تغير

ديمغرافي بالحواضر الاباضية خاصة بالمغرب الأوسط؛ أما الثاني فكان عند تخريب قلعة درجين على يد الصنهاجيين سنة 440هـ/ 1048م حيث هاجرت عديد القبائل الإباضية من منطقة درجين ببلاد الجريد وقسطيلية إلى مناطق أخرى طلبا للأمن وفرارا من العدو، فقصدوا أسوف وأريغ ووارجلان ، كما أن التخريب يعطي صورة واضحة عن مدى الصراع العنيف الذي كان بين الإباضية والجماعات السنية في المنطقة خلال القرن 5هـ/12م.

والإشكالية التي ستكون محور هذه الدراسة، تبحث أولا في عوامل التواصل بين إباضية المغربين الأوسط والأدنى، ولنقف على علاقة التواصل بالأوضاع السياسية التي عرفها الاباضية في تلك الفترة باعتبارها أهمَّ عامل؛ تساءلنا :كيف استطاع إباضية المغربين بعامل التواصل التخفيف من وطأة نكباتهم وهزاتهم العنيفة التي كادت أن تعصف بهم؟ ثم كيف تحوَّل هروب الاباضية وفرارهم إلى تواصل علمي واجتماعي بين حواضر المغربين؟ وفي الأخير سنقف على آثار ذلك التواصل ونتائجه على حواضر المغربين الأوسط والأدنى.

وسنحاول الإجابة على تلك الإشكالات بالتعرض إلى خمسة عناصر أساسية في الموضوع:

1- سقوط تاهرت وأثره في التواصل الاجتماعي بين إباضية المغرب الأوسط والمغرب الأدنى.
2- ثورات الإباضية الوهبية والنكار ضد الشيعة كانت عاملا من عوامل التواصل ومظهرا له.
3- نظام العزابة عند الإباضية ودوره في تفعيل التواصل الاجتماعي بين حواضر المنطقتين.
4- أثر التواصل الاجتماعي في انتقال الأفكار بين إباضية المغرب الأوسط والأدنى.

ولقد كان اعتمادنا في هذه المقالة البحثية على **المنهج التاريخي** الذي يصف أحداث التاريخ، ثم يضعها في قالب التحليل والاستنتاج ليخرج بحل للإشكاليات المطروحة معالجا بذلك وضعا سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا، وقد وظفنا جملة من **المصادر** لعلَّ أبرزها؛ مصادر تاريخ المغرب، بدْءا من تاريخ افريقية والمغرب للرقيق القيرواني، وكذا البيان المغرب في تاريخ افريقية والأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي، وكذا تاريخ ابن خلدون المعروف بالعبر، إضافة إلى تاريخ الأئمة الرستميين لابن الصغير، ولم نُغفل **المصادر الجغرافية** التي زوّدتنا ببعض المعلومات حول المجتمع الإباضي مثل ابن حوقل في كتابه صورة الأرض، والبكري في المسالك والممالك، كما اعتمدنا أيضا وبشكل أساسي على جملة من المصادر الإباضية؛ أهمّها سير أبي زكريا، وسير الوسياني، وطبقات الدرجيني، وسير البغطوري، والشماخي.

1- سقوط تاهرت وأثره في التواصل الاجتماعي بين إباضية المغرب الأوسط والمغرب الأدنى:

لا يخفى على كل دارس لتاريخ المغرب الإسلامي في قرونه الأولى انتشار المذهب الإباضي وتمكّنه في المنطقة، وانضمام عديد القبائل البربرية تحت لواء أئمته ودعاته، وذلك مع مطلع القرن 2هـ/8م، وقد بدأ المجال الإباضي في التوسع أكثر خلال العهد الرستمي، وذلك نتيجة انتجاع تلك الجماعات

الإباضية الأولى من زناتة ومزاتة ومكناسة وهوارة للمجال الجغرافي الواسع الممتد بين طرابلس وجبل نفوسة حتى الجريد التونسي؛ ثم الزاب الكبير من الأوراس حتى أريغ؛ إلى ناحية تاهرت[1]، ونعتقد أن هذا المجال قد بدأت معالمه الإباضية ترتسم منذ القرن2هـ/8م ليظهر بجلاء خلال العهد الرستمي، حيث أصبح المجال الإباضي تبعا للمجال السياسي للدولة الرستمية، وقد كان امتداد الدولة يصل شرقا إلى جبل نفوسة وقنطرارة (تيجي)، كما يضم معظم جنوب افريقية كنفزاوة وقفصة وقابس وكل بلاد الجريد، وواحات المغرب الأوسط من وارجلان إلى أريغ[2]، ولا شك أن الانتماء للدولة ووحدة المذهب قد أسهم في توطيد العلاقات بين الجماعات الإباضية التي تقطن تلك الحواضر وتفعيل التواصل بينها، ولذلك تجد قبائل نفوسية تنتقل من جبل نفوسة لتستوطن بجزيرة جربة، كما تجد قبائل زناتية تنتقل من المغرب الأوسط لتتخذ من بلاد الجريد أو جربة موطنا لها، ولذلك من يحاول تتبُّع حركة القبائل الإباضية لا يستطيع أن يجعل لها مجالا محدّدا، إذ تجدها منتشرة في كل المجال الإباضي من برقة شرقا إلى سجلماسة غربا.

ولكن مع سقوط عاصمة الرستميين تاهرت على يد الفاطميين، تغيّرت الخارطة السياسية والاجتماعية والديموغرافية لبلاد المغرب، حيث مثّل دخول أبي عبد اللّه الشيعي تاهرت في شوّال من سنة 296هـ/909م نهاية مرحلة تاريخية هامة، عاش خلالها أهل المغرب حياة حضارية راقية، قاد حِراكها الأغالبة في افريقية وتونس، والرستميون في المغرب الأوسط، والأدارسة في المغرب الأقصى، ويلخص لنا الباحث عبد الكريم غلاب ما وصلت إليه بلاد المغرب في عهد الدويلات السنية - الأغالبة والأدراسة- حين يقول:" والدولتان معا قامتا بتعريب المنطقة عن طريق الوفود العربية التي تساكنت مع العناصر البربرية، وخاصة بمدينتي فاس والقيروان، وأصبحت كل من المدينتين مركزا للعلم والثقافة الإسلامية..وقد عرفت تونس ازدهارا علميا وحضاريا وصناعيا على عهد الأغالبة وأمَّها عدد كبير من رجال العلم من المشرق واستقرّوا فيها وساهموا في نشر المعرفة، ونبغ كثير من العلماء العرب والبربر في هذا العهد. ولم يعرف المغرب ازدهارًا بهذا المستوى على عهد الأدارسة لاستقرار الحكم في تونس أكثر من المغرب ولقربها من المشرق ولوفرة الغنى الذي أصابته بفتوحات صقلية وغيرها"[3].

أما عن المغرب الأوسط في عهد الرستميين فيكفي فيه قول شيخ المؤرخين الجزائريين أبي القاسم سعد اللّه حين قال:" فقد فتح أئمة تاهرت المجال أمام الأفكار فانفتحت، وحرّرت العقول فانطلقت، وأتاحت للألسنة والأقلام مجال النطق والتحبير فنطقت ودبّجت، فوصلَنا منها أدبٌ وعلمٌ وفنٌّ وفلسفةٌ وفقه"[4]، غير أنّ ظهور الشيعة الفاطميين على مسرح الأحداث في بلاد المغرب قد غيّر كثيرا من مجريات الأحداث، وقلب مسار التحضّر رأسا على عقب.

بظهور الفاطميين في بلاد المغرب دخلت البلاد مرحلة جديدة، مثّلت انقلابا وثورة في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي، ذلك أن ظهورهم بالمنطقة جاء بعد محاولات طويلة فاشلة قام بها الشيعة منذ قيام الدولة الأموية للظفر بالخلافة ببلاد المشرق؛ وعبثا فعلوا، حتى توجّهوا بأنظارهم نحو بلاد المغرب واستطاعوا تأسيس كيان سياسي يقربهم من تحقيق حلمهم في السيطرة على الحلافة الإسلامية، وقد كان لذلك النجاح الذي أحرزه الفاطميون في بلاد المغرب آثارا حاسمة في تقرير مصير المنطقة لأمد بعيد[5].

وما يهمنا هو الوقوف على مصير الجماعات الإباضية بعد سقوط إمارتهم بتاهرت، وإبراز الأثر الذي أحدثه الظهور الفاطمي على الساحة المغربية، خاصة ديموغرافيا واجتماعيا، إذ له انعكاسات خطيرة خاصة على بلاد افريقية والمغرب الأوسط، باعتبارهما معقل الفاطميين، والمجال الذي رتعوا فيه بعد أن هدأت واستتبّت الأمور لهم، حيث قضى الفاطميون على دولة بني رستم واحتلّوا عاصمتهم تاهرت فلفظت الإمامة الإباضية أنفاسها الأخيرة، وشرّد الشيعة الفاطميون رؤساءها، وقتلوا من وصلت إليه أيديهم، ثم عمدوا بعد ذلك إلى قبائل المغرب الأوسط وافريقية فحملوها غصْبا وبالسيف على المذهب الشيعي الباطني[6]، ويؤكد ذلك ما ورد عند ابن خلدون في عدة مواضع قوله:"وحملهم-أي عبيد اللّه المهدي- على دين الرافضة"[7].

ويشير ابن خلدون إلى أن تاهرت تم غزوها من قِبل الشيعة أكثر من مرة أولاها كانت على يد أبي عبد اللّه الداعي، ويبيّن ابن خلدون فضاعة ما قام به الشيعة الفاطميون في تاهرت، وكيف أدت تلك الفضاعة بقبائلها إلى الفرار نحو المناطق الآمنة، فيقول عن غزوة الداعي تلك:" ولم يزل الملك في بني رستم هؤلاء بتاهرت ..إلى أن كان استيلاء أبي عبد اللّه الشيعي على افريقية والمغرب سنة 296هـ/909م فغلبهم على مدينة تاهرت وابتزّ ملكهم بها"[8]، وبعد تلك الغزوة أعاد الخليفة الفاطمي عبيد اللّه المهدي غزوها بعد أن استقرت الأمور لصالحه، وذلك عندما عيّن عروبة بن يوسف الكتامي على المغرب وأنزله باغاي، فسار هذا الأخير إلى تاهرت واقتحمها وولّى عليها دوّاس بن صولان اللهيصي، وفي ذلك يقول ابن خلدون :" وعهد عروبة بن يوسف فاتح المغرب للشيعة على تاهرت لأبي حميد دوّاس بن صولان اللهيصي فغدا إلى المغرب سنة 298هـ/908م، فأمحى في مؤامرتها الإباضية، من لماية وازداجة ولواتة ومكناسة ومطماطة، وحملهم على دين الرافضة وفسخ بها دين الخارجية حتى استحكم في عقائدهم.. ولم تزل تاهرت هذه بعدُ لأعمال الشيعة وصنهاجة سائر أيامهم"[9].

وبعد ردْح من الزمن اضطرب أمر المغرب فبعث المهدي ابنه ووليّ عهده أبا القاسم غازيا في عساكر كتامة سنة 315هـ/927م، وخلالها غزا بلد مزاتة مطماطة وهوارة، وسائر الإباضية والصفرية ونواحي تاهرت قاعدة المغرب الأوسط إلى ما وراءها[10]، وهو ما جعل الهجرات الإباضية مستمرة، فمن لم يهاجر في الحملة الأولى أُجبر على الهجرة في الحملات الأخرى.

ويشير ابن خلدون إلى هجرة قبائل المغرب الأوسط وتوزّعها بالمناطق الجنوبية، فيقول عن قبائل "لماية" أنها انقرضت بتاهرت وهلكت بهلاك مصْرهم، وبقيت فرق منهم أوزاعا في القبائل ومنهم "جربة" الذين سميت بهم الجزيرة البحرية تجاه ساحل قابس، ولا تزال تلك القبائل بالجزيرة تدين بدين الخارجية، ويتدارسون مذاهبهم مجلدات تشتمل على تآليف لأئمتهم في قواعد ديانتهم وأصول عقائدهم وفروع مذاهبهم يتناقلونها ويعكفون على دراستها وقراءتها[11]، وعن قبائل مطماطة يضيف ابن خلدون أنهم شعوب كثيرة تفرّقوا في المواطن بعد سقوط تاهرت إذ كانت مواطنهم بتلول منداس عند جبل وانشريس وجبل كزول من نواحي تاهرت، فسكن بعض منهم جهة قابس، والبلد المختطّ على العين الحامية من جهة غربها منسوب إليهم، ولهذا العهد –أي عهد ابن خلدون- يقال لها حمة مطماطة[12].

وبالبحث في الإستوغرافية الإباضية نجدها تتبّعت الحملات الشيعية بنوع من التفصيل وكثير من الحدّة، وهذا طبيعي بحكم العداء التقليدي بين الشيعة والخوارج ناهيك عن كون الشيعة هم من أسقطوا ملك الإباضية وبدّدوا حلمهم في بقاء واستمرار إمامتهم ببلاد المغرب، وأشارت كتب السير الإباضية إلى عمليات تهجير قسري، وإجلاء منظّم قام بها الشيعة في تاهرت، نتج عنها تفرق قبائلها في الأمصار الأخرى، فهذا أبو زكريا يصف حملة أبي عبد اللّه الداعي الحجّاني وما قام به من جرائم في حق تاهرت وأهلها فيقول:" ثم إن الحجاني دخل المدينة ونهبها، وانتهك حرمتها، وأجلى كثيرا منها، وجعل أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون"[13]، ويؤكد أبو العباس الدرجيني على أن الداعي دخل المدينة بالأمان ولكنه نكص على عهده وغدر بأهلها وقتل أهل بيت الإمامة من الرستميين وأهل الملك وأهلك الحرث والنسل، فانقطعت الإمامة بموت الإمام يوسف بن محمد بن أفلح بن عبد الوهاب، ومن قُتل معه، ومن قُتل بعد دخول المدينة، ولم ينج إلا من فرّ إلى حواضر الإباضية الأخرى، وفي مقدمة هؤلاء الإمام يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم الذي فرّ مع أهله وجمعٌ غفير من القبائل الإباضية نحو وارجلان وسدراتة خوفا من بطش الشيعة[14]، خرجوا بعيالهم في خفاء، خوفا من أن ينالهم الداعي وجنوده، وسار يعقوب بالركب الإباضي إلى وارجلان، فاستقبله شيخها أبو صالح جنون بن يمريان مع أعيان البلد وأحسنوا نزلهم وأكرموا مثواهم، وعرضوا عليه المبايعة والتولية على أنفسهم فرفض وقال قولته الشهيرة:"لا يستتر الجمل بالغنم"[15].

ويشير أبو زكريا إلى أن أبا عبد اللّه الداعي الحجاني كان ينشر الرعب في كل مكان يحلّ به، فعندما أقبل من المشرق مرّ على مدينة توزر وكانت معه دابّة نفيسة ركبها من مصر فانتزعها منه رجل من بني جلتمين وهو من بني واسين، فأسرَّ الحجّاني ذلك في نفسه، ومضى إلى مُراده، وعندما أنجز ما أُمر به، وأظهر دعوته وكوّن جيشه وعاد منتصرا من سجلماسة وتاهرت، مرّ على توزر، وما كان منه إلا أن قتل أفراد القبيلة التي أخذت دابّته ونهبهم[16].

لذلك كله هاجرت معظم الجماعات الإباضية نحو المناطق الجنوبية والبعيدة عن أعين ملوك الفاطميين وجنودهم بحثا عن الأمان وطلبا للحياة، فكانت حواضر الصحراء الجنوبية في المغرب الأوسط وافريقية أهم المناطق التي قصدتها تلك الجماعات[17]، لذلك نجد تضاعف عدد الإباضية في مدن الزاب وقسطيلية ببلاد الجريد التونسية وقفصة، وبُشّرى وسُماطة في منطقة نفزاوة[18]، كما انتقل إباضية المغرب الأوسط أيضا إلى جبل نفوسة وجزيرة جربة في جنوب افريقية[19]، وهو ما يؤكده المؤرخ الإباضي محمد علي دبوز في قوله:" ..فهرب أغلبهم-يعني إباضية الدولة الرستمية- إلى جبال أوراس المنيعة، وإلى جبال بني راشد(جبال عمّور) فحلّوا في مدينة (تاويالا) في شمالها الغربي، وإلى وارجلان في الصحراء، وإلى جبل نفوسة، وجربة، وإلى كل مكان يعرفون أن العبيديين لا يحتلّونه ولا يطمعون فيه"[20]، ويقول الباحث المتخصص في التاريخ الإباضي مسعود مزهودي أيضا في ذات السياق:" وأصبح هؤلاء –يعني الإباضية- دون كيان سياسي مما جعلهم يتفرّقون في وارجلان ونواحيها، وجبل أوراس، وجبل نفوسة، وبلاد الجريد، وجربة وغيرها من المناطق، لكنّ المذهب الإباضي ظلّ متواجدا بعد أن حافظ عليه المخلصون من أتباعه من العلماء والمشايخ"[21].

ولا شك أن ذلك التواصل الاجتماعي استمرّ بعد سقوط تاهرت وخلال عهد الفاطميين، وذلك نظرا للظروف الصعبة التي مرّت بها تاهرت بعد سقوط الدولة الرستمية، وقد عبّر عنها ابن حوقل(القرن4هـ/10م) بقوله:" وكتامة التي بهذه الناحية متشيّعون وبهم ظهر أبو عبد اللّه الداعي وأخذ المغرب، وقد تغيّرت تاهرت عمّا كانت عليه، وأهلها وجميع من قاربها من البربر في وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم ودوام القحط وكثرة القتل والموت"[22]، فما قام به الداعي ثم من بعده خلفاء الفاطميين بالمغرب الأوسط وبلاد الجريد وافريقية أجبرت إباضية تلك المناطق على الهجرة نحو جزيرة جربة التي لم تخضع لسلطان الفاطميين وبقيت تحت سلطة مشايخها[23].

وعموما فالاضطهاد هو الذي جعل الجماعات الإباضية تفرّ بمذهبها إلى المناطق النائية من قبيل وارجلان وجنوب افريقية وجزيرة جربة، هذه الأخيرة التي تمتاز بموقع جغرافي حصين على البحر مما جعلها معقلا للجماعات الإباضية إلى يوم الناس هذا، ويؤكّد ذلك الشيخ الإباضي سالم بن يعقوب في كتابه حول تاريخ جربة حين يقول:" بعد اضمحلال الدولة الرستمية سنة 296هـ/909م كثرت الفتن والثورات، وافتُقد الأمن على النفس والمال والعرض، فالتجأ الكثير من الناس –يقصد الإباضية- إلى جزيرة جربة لمناعتها بالبحر، فمن دخلها كان آمنا من ظلم القبائل القوية التي ألفت استغلال الضعفاء، تدفعها العصبية القبلية والمذهبية، ويقودها الطمع وحبّ السيطرة"[24]. فكانت بذلك الهجرة الاضطرارية أهم ملمح طغى على التواصل الاجتماعي بين إباضية المنطقتين.

2- ثورات الإباضية الوهبية والنكار ضد الشيعة عامل ومظهر –في ذات الوقت- من مظاهر التواصل.

لقد نتج عن سقوط تاهرت والإمامة الرستمية ثورتان إباضيتان قامتا ضد الوجود الفاطمي في المنطقة؛ الأولى ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد النكاري(331-336هـ/942-947م)، والثانية ثورة أبي خزر يغلى بن زلتاف الوهبي(قبل سنة 358هـ/968م)، وقد حاول من خلالها الإباضية استعادة مجدهم وقوتهم، لكن محاولاتهم باءت بالفشل، حيث انهزم فيهما الإباضية، وكُسرت شوكتهم من قبل الشيعة الفاطميين، وقد كان لهاتين الثورتين آثار سياسية واجتماعية واقتصادية على إباضية المغرب، أدّت بهم إلى الانحسار والتقوقع والدخول مرة أخرى في فترة الكتمان، بعد أن فشلوا في استرجاع دولتهم وإحياء إمامة الظهور من جديد، وقد شعر إباضية المغرب حينها بأنْ لا قوة لهم لتكوين دولة أو إمامة ظهور، وأدّت تلك الهزائم المتلاحقة للإباضية إلى هجرتهم من مناطق النزاع والصراع مع الفاطميين وخاصة المناطق التي تمثل مجال حركتي أبي يزيد النكاري وأبي خزر الوهبي، فكان مجال انتقال الإباضية هذه المرّة من جبل أوراس وبلاد الزاب وقسطيلية وافريقية عموما نحو جبل نفوسة وجربة ووارجلان، وفي ذلك ملمح آخر للتواصل بين المنطقتين، وسنبين ذلك من خلال قراءة متأنية لأحداث الثورتين[25].

الملاحظ على الثورتين أنهما يتفقان في عديد النقاط، أولاها أن انطلاقتهما كانت من منطقة واحدة وهي بلاد قسطيلية بالجريد التونسي، والتي احتضنت كلا من أبي يزيد مخلد بن كيداد النكاري زعيم الثورة النكارية، وكذا أبي خزر يغلى بن زلتاف الوهبي زعيم الثورة الوهبية، والنقطة الثانية كونهما قامتا ضدّ عدوٍّ مشترك وهو الوجود الفاطمي، كما أن هدفهما واحد وهو القضاء عليه وإنهاء وجوده في المنطقة. ومن جهة أخرى تختلف كل ثورة عن الأخرى من حيث المبدأ والمنطلق والغايات، لذلك لم نجد أيّ وجه من أوجه التعاون أو التكامل بين أنصار الفريقين، رغم العداوة المشتركة التي يُفترض أن تولّد قرْبا ولو مؤقتا بين أتباع الفرقة الوهبية والنكارية، كما أنَّ خروج الفرقتين من مشكاة واحدة –أي الإباضية قبل انقسامها على نفسها- لم يمكّنهما من وجود أرضية تفاهم تساعدهم على الوقوف في وجه الفاطميين.

أثّرت الثورتان في حركة التواصل عند الإباضية، ذلك أنّ مناطق نفوذهما كانت إما نقطة استقطاب للأتباع الموالين، أو نقطة طرد للأتباع المخالفين والمعارضين؛ فبالنسبة لثورة أبي يزيد نجدها انطلقت من تقيوس ببلاد قسطيلية أو توزر القريبة منها، وكلاهما بمنطقة الجريد التونسي حيث موطن ونشأة أبي يزيد وموطن أبيه كيداد[26]، ومنها بدأ أبو يزيد مخلد بن كيداد نشاطه، فأخذ يحتسب على الناس في أفعالهم ومذاهبهم وعلى جباة الأموال ويحرّض على الثورة ضد السلطان، حتى وصل أمره إلى الخليفة الفاطمي عبيد اللّه المهدي فأهدر دمه، وبعث بأمر ذلك إلى ولاة الأمر بقسطيلية سنة 316هـ/928م[27]، حينها فرّ أبو يزيد مع صاحبه أبي عمار الأعمى إلى نواحي طرابلس، وعندما

هدأت الأمور بتقيوس عاد إليها، ولم يمكث طويلا بها حتى بعث المهدي في طلبه، فمازال يقرّ ويستتر حتى ظهر أمره، واستطاع تكوين أتباع ينتصرون له[28]، وتروي المصادر الإباضية اعتقال أبي يزيد من قِبل والي توزر وسجْنه، ثم كيفية اقتحام بعض أتباعه من النكار للسجن، وإخراج أبي يزيد، ثم تروي المصادر طريق فرار أبي يزيد ومن معه من النكار من بلاد توزر إلى جبل أوراس، مرورا بالحامة ثم درجين وصحراء سماطة[29]، ومن جبل أوراس كوّن أبو يزيد أتباعا جددا من بلاد المغرب الأوسط، حيث لقيت دعوته قبولا عند هوارة جبل أوراس وزناتتها، لذلك قصد التوجّه مع أتباعه إلى جبل أوراس، هذه المنطقة التي ستحتضن حركة أبي يزيد وستكون منطلقه للثورة على الشيعة الفاطميين، يقول في ذلك ابن خلدون:" ولمّا مات المهدي خرج-أي أبو يزيد- بناحية جبل أوراس، وركب الحمار وتلقّب بشيخ المؤمنين، ودعا للناصر صاحب الأندلس من بني أميّة، فاتّبعه أممٌ من البربر"[30]، واستطاع أبو يزيد بمن معه السيطرة على باغاي وقسنطينة وتبسة، ثم زحف بجيشه نحو افريقية فسيطر على مجانة والأربس وسبيبة ثم سيطر على باجة فنهبها وأحرقها، ثم اتجه نحو القيروان ودخل رقادة في مائتي ألف مقاتل، فعاث فيها فسادا ثم أمن أهلها ورفع النهب عنها، ومنها أرسل سريّة إلى سوسة ففتحوها عنوة واستباحوها، وبذلك خرّب أبو يزيد عمران افريقية من سائر الضواحي، وبقي الشيعة متحصنين وراء أسوار المهدية، ولو لم ينتفض البربر على أبي يزيد بسبب أفعاله الشنيعة والبعيدة عن الدين وارتكابه المحرّمات، لاستطاع دخول المهدية والقضاء على الفاطميين[31].

إن مما غيّر موازين القوى في الصراع الدائر بين الفاطميين وأبي يزيد دخول الصنهاجيين على الخط، بزعامة زيري بن مناد في صفوف الفاطميين، وكما هو معلوم أن مواطن بني زيري كانت بضواحي المغرب الأوسط من المسيلة إلى حمزة والجزائر والمدية وملیانة حتى بجاية ونواحيها غربا، فلما استنفر الخليفة الفاطمي المنصور الكتاميين والصنهاجيين لنصرته، تحركت جموع صنهاجة من تلك المناطق وشدّت رحالها نحو بلاد افريقية[32]، وأسفرت تلك الهجرات على ظهور مُلك سياسي للزيريين بافريقية، فقد استطاع بلكين بن زيري بن مناد السيطرة على افريقية بعد أن أثخن في زناتة ومغراوة وقضى على تمرّداتهم، وهو ما جعل الخليفة الفاطمي يستقدمه ويجعله على ولاية افريقية سنة 361هـ/971م، وذلك عندما قرّر الخليفة الانتقال إلى القاهرة، فكان ذلك أول دولة آل زيري بافريقية[33].

وحين نقف على حركة أبي خزر يغلى بن زلتاف وهي الثورة التي قام بها الإباضية الوهبية بمنطقة الجريد التونسي قبل سنة 358هـ/968م، نجد أنها كانت انتقاما لمقتل شيخ إباضية الجريد أبي القاسم يزيد بن مخلد من قبل والي الحامّة، وذلك بأمرٍ ملحّ من الخليفة الفاطمي أبي تميم المعز لدين اللّه، وكان سبب قتْله تنامي مكانته عند الإباضية والتي وصلت إلى حدّ الزعامة، فرأى أبو تميم

بعد أن وشى له الوُشاة أن يبادر بهذا الرأس وقد أيْنع قطافه، خصوصا وقد كثرت الوشايات حوله من أنه يريد الخروج على الشيعة[34].

وقد قاد الثورة كل من الشيخين أبي خزر وأبي نوح سعيد بن زنغيل، والملاحظ على هذه الثورة أنها لقيت دعما من إباضية نفوسة ومزاتة ومنطقة الزاب، حيث نفرت تلك القبائل واتجهت نحو بلاد الجريد نصرةً لإخوانهم، ونقف هنا عند انتقال قبائل الزاب ووارجلان وأريغ وأسوف وباغاي إلى بلاد الجريد التي ألهمت إباضية المغرب، ورأوا فيها فرصتهم الأخيرة للوقوف في وجه المد الشيعي، وإعادة مجد الإباضية من جديد، فقد أرسل أبو خزر الشيخ أبا محمد ويسلان إلى ناحية الزاب وأريغ ووارجلان يستنفرهم ويستحشدهم فخرجوا إليه في أُهبة الحرب، غير أن أبا خزر استعجل الأمر بمن معه من قبائل مزاتة التي اجتمعت إليه في عدد كثير، فاغترّ بها، إذ كانت في اثني عشر ألف فارس، وأما الرجال فكانوا كثيرين، وتمت مبايعة الشيخ أبي خزر إماما للدفاع، وإن كُتب للثورة النجاح بايعوه إماما للظهور، فزحف أبو خزر على باغاي دون انتظار مدد المغرب الأوسط، وحاصرها حصارا شديدا، وكاد أن يفتحها لولا الخيانة التي أصابت معسكره من بعض أهل مزاتة (من أهل يليان) الذين قبِلوا رشوة أهل باغاي، وكانت الرشوة مقابل إثارة البلبلة في معسكر أبي خزر بأن يقولوا لأهل مزاتة:" إن(بني يدبه) أغارت على أهلهم وأولادهم وأموالهم"، ولمّا فعلوا ذلك انكسر معسكر مزاتة، ولم يبق إلا الشيخ أبو خزر والشيخ أبو نوح والتلامذة الذين قُتلوا عن آخرهم[35].

ولما أقْبلت جموع أريغ وأسوف ووارجلان والزاب من المغرب الأوسط وعليهم خزرون بن فلفول، ووصلوا مكانا يقال له "افودان"، وبينهم وبين "باغاي" يوم واحد بلغهم خبر الهزيمة فرجعوا إلى ديارهم، وفرّ الشيخ أبو خزر إلى جبل نفوسة، وأما أبو نوح فإنه تنكّر ولبس عباءة وصار يرعى إبلا، غير أنّ أبا تميم جدَّ في طلبه حتى قبض عليه، ولكن دهاء أبي نوح وفصاحة لسانه وقوة حجّته جعلت أبا تميم يصفح عنه ويؤمّنه بل ويكرمه، وحسُنت أحواله عند أبي تميم لعلْمه الذي يحمله، ولبلاغته وفصاحته ووسامته، ووصل تأثّر أبي تميم بأبي نوح إلى أنْ بعث بالأمان في بلاد الوهبية كلّها وأصبح أتباع الإباضية في أمان، بما فيهم أبي خزر الذي عاد من جبل نفوسة والتحق ببلاط أبي تميم، ولمّا عزم أبو تميم الانتقال إلى مصر أراد أن يأخذ الشيخين في صحبته، ربما كان ذلك خوفا منهما أن يعودا إلى الثورة بعده، أما الشيخ أبو خزر فقبِل الصُّحبة، وتحجّج أبو نوح بالمرض، ولما غادر المعز بلاد المغرب هاجر أبو نوح من بلاد الجريد قاصدا بلاد وارجلان.

وقد أظهرت هذه الثورة مدى تعاطف وتكافل وتعاون كل من إباضية المغرب الأوسط وإباضية جبل نفوسة مع إباضية الجريد التونسي، إذ أن وحدة المذهب، والعدو المشترك، والمصير الواحد، كانت كلها سببا في تضامنهم، ومن جهة أخرى كانت الثورة سببا في ضعف الإباضية ببلاد الجريد وبداية

انحسارهم بها، ليهاجر معظم إباضية الجريد في أوقات لاحقة نحو مناطق أخرى أكثر أمنا، مثل جزيرة جربة، ومنهم من فضّل الهجرة نحو المغرب الأوسط فاستوطن وارجلان وأريغ وبلاد ميزاب فيما بعد[36].

3- نظام العزابة عند الإباضية ودوره في تفعيل التواصل الاجتماعي بين حواضر المنطقتين.

إن النّكبات والهزّات العنيفة التي تعرّض لها إباضية المغرب من قِبَل مخالفيهم منذ وقعة مانو 283ه/896م مع الأغالبة[37]، ثم سقوط تاهرت296هـ/909م على يد الفاطميين، ثم موقعة باغاي سنة 358هـ/968م التي هَزَم فيها الفاطميون أتباع أبي خزر وأبي نوح -وهم من الإباضية الذين فرُّوا إلى وارجلان- كل ذلك كان مدعاةً للتفكير في إعادة لمّ شعث الإباضية وتضميد جراحهم، كما أصبح الأمر ملحًّا فى ضرورة تغيير سُبُل المواجهة مع المخالفين، وخلْق مسلك آخر غير المسالك الأربعة المعروفة، والتي لم تجْدِ نفعا أمام قوّة وشراسة أعدائهم. وإذا كان الإباضية بعد تلك الهزّات قد يئسوا من إقامة إمامة ظهور بمفهومها الشامل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، فالأحْرى بهم أن يخلقوا نظاما اجتماعيا يستطيعون به على الأقل الحفاظ على وجودهم كفكر وكمذهب مستقل، وجماعة لها خصوصياتها الفكرية والعقدية، وهو الذي حدث بالفعل، فقد أُنشئ نظام العزّابة، فكان نظاما اجتماعيا بالدرجة الأولى، رغم كونه يتعدّاه إلى المجال العلمي والثقافي والاقتصادي، وبه استطاع إباضية المغرب حفْظ فكرهم الموروث، فضمِن لهم استمرارية وجوده وانتقاله، إذ كان من أهدافه نشر الفكر الإباضي والحفاظ عليه من الاندثار، والوقوف أمام الأفكار المعادية والمخالفة التي تريد ضربه في عمْقه ومن داخله[38]، ومن جهة أخرى أسهم نظام العزابة في الحفاظ على ترابط المجتمع الإباضي المترامي الأطراف من جبل نفوسة إلى بلاد مزاب، من خلال حفظ التواصل وتفعيل العلاقات بالانتقال بين حواضر الإباضية ببلاد المغرب خاصة بين إباضية افريقية وإباضية المغرب الأوسط.

قام نظام العزابة بمدّ الجسور الفكرية بين الحواضر الإباضية الصحراوية واضطلع بدور مهم في نقل المعرفة الدينية ونشرها بين تجمعات الإباضية المترامية بين طرابلس ومزاب[39]، وحرْصًا على خدمة المنظومة الاجتماعية والفكرية الإباضية؛ انطلق نظام العزابة من حلقات العلم التي كان الإباضية يعقدونها من أجل الحفاظ على استمرار مذهبهم، لذلك نجد مصطلح العزابة يرتبط بمصطلح الحلقة، وهي إشارة إلى أن العلم كان ركيزة ذلك النظام الاجتماعي، وما يهمّنا هنا هو ارتباط النظام بحركة العلماء وتنقلاتهم، فعندما بذر علماء الإباضية منذ القرن 3هـ/9م فكرة "الحلقة" من خلال مجالسهم العلمية، وفي مقدمة ذلك مجالس الشيخ أبي الربيع سليمان بن زرقون(القرن4هـ/10م) الذي وضع بدايات تشكيل حلقة علم نظامية في بلاد الجريد[40]، فانتقل بغرض التعلّم على أبي الربيع الكثير من الطلبة من جبل نفوسة وجربة ووارجلان وأريغ وأسوف، حتى تخرّجوا على يديه وأكملوا فيما بعد بلورة تلك الفكرة؛ ومنهم أبو القاسم يزيد بن مخلد وأبو خزر يغلا بن زلتاف[41]، واللذين وضعا بعض معالم الحلقة السرية في عهدهما على الرغم من أنهما لم يتوصّلا

إلى وضع مبادئ وقواعد كاملة وراسخة لمثل هذا التنظيم، وبذلك أخذت بعض الملامح المميّزة لنظام الحلقة تتضح وتأخذ طريقها إلى البروز بحيث أصبحت قواعد ثابتة[42].

ومن خلال تقفّينا لأثر البدايات الأولى لتأسيس نظام العزابة تبيّن أن عملية التواصل بين الحواضر الإباضية وتبادل الأفكار والخبرات كانت من أهم العوامل التي أسهمت في تأسيس ذلك النظام، فعندما نتتبّع نشأته نجد -بالإضافة إلى ما أوردناه من نشاط علماء بلاد الجريد- أنّ أول من فكّر فعليا في تأسيس نظامٍ يحفظ بقاء المذهب هم علماء حاضرة جربة وفي مقدِّمتهم الشيخ أبو زكريا فصيل بن أبي مسور اليهراسني(ت بين 420-440هـ/1029-1048م) وهو شيخ أبي عبد اللّه محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي الذي يُجمع المؤرخون على كونه مؤسّس النظام، ويقول الدرجيني عن سبب تأسيس نظام العزابة:"..وسبب ذلك ومبدأه أنّ الشيخ أبا زكريا وجّه ولديْه زكريا ويونس وابن أخيه أبا بكر بن يحي وغيرهم من أقاربه في جماعة من الطلبة، وقال لهم: اطلبوا أبا عبد اللّه فحيثما وجدتموه فلازموه، واقرأوا عليه، وحيثما كان فكونوا معه ولو في شغل دنياه، فخرجوا من جربة"[43].

إن انتقال وفد جربة من افريقية إلى حيث يوجد أبو عبد اللّه الفرسطائي النفوسي بأريغ بالمغرب الأوسط يعدّ انتقالا اجتماعيا مهّدت لعملية تأسيس النظام، كما أنّ انتقال ذلك الوفد أسهم في نشر أفكار المذهب، فقد استغلوا تنقُّلهم بين تجمّعات الإباضية بحثا عن أبي عبد اللّه في إرجاع الكثير من المخالفين إلى مذهب الوهبية، وتثبيت من بقي على المذهب، وهو ما حدث مثلا عند وصولهم إلى تمولست التي لم يكن بها أحد إلا خالف الوهبية، غير الشيخ يصليتن عمّ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي ومن معه من نساء وأطفال فقد بقوا متمسّكين بوهبيتهم، فلما قدم الوفد عليه قال الشيخ يصليتن لمن معه:" هذا دينكم وهؤلاء أهل دينكم" حتى يتمسّكوا بالمذهب، فكانوا على ذلك حتى تيسَّرت لهم الطريق[44].

والتقى وفد جربة بأبي عبد اللّه بتقيوس من بلاد الجريد، أثناء رجوعه من القيروان وكان قد حصّل بها ما كان يفتقر من علوم اللسان، وكان متوجّها منها إلى تاجديت -بأريغ جنوب المغرب الأوسط- لتعلّم علم الفروع عند أبي عمران موسى بن زكريا المزاتي[45](القرن5هـ/11م)، فلمّا التمّ شمل الوفد بأبي عبد اللّه أعلموه بالغرض الذي دفعهم للقدوم عليه، وما وصّاهم به الشيخ أبو زكريا فصيل، ورغّبوه في أن يجلس لهم ويرتّب لهم الحلقة، فامتنع رغبة في التفرغ لطلب العلم والاستزادة منه، ومكثوا يلحّون عليه في ذلك أياما، وظلَّ على رفضه، حتى أقاموا عليه الحجة فأجابهم إلى تأسيس الحلقة، وأسّس لهم قواعد السيرة[46]، وكان ذلك بمسجد المنية بحاضرة تقيوس في صحراء الجريد سنة 408هـ/1017-1018م، على شرط أن لا يسألوه عن مسألة، ولا يجيبهم عنها حتى تمضي أربعة أشهر[47].

ونستطيع أن نقول إن أبا زكريا فصيل بن أبي مسور كان صاحب فكرة مشروع تأسيس نظام العزابة، وهو الذي اختار أبا عبد اللّه لتجسيدها بعد أن فكّر مليًّا واستعرض في ذهنه كل علماء عصره فلم يجد أحسن من أبي عبد اللّه، وقد توسّم فيه الخير منذ صغره[48]، وبالفعل قام الأخير بوضع النظام وتنظيم قوانينه بمساعدة الوفد الجربي، لذلك أطلقت تسمية "السيرة المِسْوَرية البَكْرية"[49] على نظام العزابة نسبة إلى الطرفين، قال الدرجيني:" فهذا سبب قعود الحلقة المباركة الصادرة عن أكرم مشاركة بين الشجرتين الطيّبتين المسورية والبكريّة بخطبة وإجابة كانتا في اللّه، فتولّدت بينهما هذه الأنوار البهيّة"[50].

غير أن تجميع كل تلك الجهود في نظام واحد يربط الجميع ويوحّد رؤاهم، ويوجّههم لخدمة المذهب وأتباعه، وينطلق بهم من البعْد التعليمي الضيّق الذي لم تستطع مجالس العلم الخروج عنه أو تجاوزه إلى البعد الفسيح، الذي انطلق مع أبي عبد اللّه الفرسطائي، حيث أصبح نظامه الذي أسّسه بمثابة نظام اجتماعي للجماعات الإباضية في مناطقها ببلاد المغرب الأدنى والأوسط[51].

وإذا تتبعنا تنقلات مؤسس النظام أبي عبد اللّه نجده يقوم على مبدأ التواصل الاجتماعي بين مختلف حواضر الاباضية المترامية الأطراف بين المغربين الأوسط والمغرب الأدنى، وأكّد الفرسطائي انتقاله بحلقة العزابة في قوله على رواية أبي اليقظان إبراهيم:" خرجنا في حلقة زائرين أهل الدعوة؛ فلما صرنا في بعض بلاد الساحل خرج أهل المنزل؛ فتلقونا وأدخلونا وأحسنوا نزولنا"[52]، وقد رجع إلى جبل نفوسة بعد تعلّمه بافريقية وبنى هناك مسجده بفرسطاء المعروف إلى الآن[53]، ثم عاد إلى جربة من جديد، وهناك عمل على إقرار النظام بمساعدة علمائها، ثم تنقَّل بين البلاد الإباضية في الجنوب التونسي حتى وصل جبل دمر، وكان الإباضية حينئذ مضطهدين هناك، محارَبين يستبدّ بهم الخوف من الظلم المرير المتوالي، فلم يستطع الإقامة بينهم، ولم يمكث طويلا حتى تحوّل منها إلى بلاد الجريد التونسي، وكان إباضيتها على نفس حال إباضية الجنوب من الظلم والاضطهاد، فانتقل إلى المغرب الأوسط، وظل يتنقَّل بين حواضره الصحراوية من بلاد "وغلانة" وأريغ إلى وارجلان انتهاء ببادية بني مزاب حيث استقر به الأمر هنالك، واستمر في أداء رسالته التي بدأها في الجبل، فكان في كلّ تنقلاته يحمل فكرة الاهتمام بالمجتمع الإباضي وإعادة تنظيمه ومحاولة حمله على السير على نهج الأسلاف، سواءً في شؤون الفرد أو الجماعة، ونجح نظامه في المغرب الأوسط أيّما نجاح ووجد من يحتضنه من أهل وارجلان وأريغ؛ ثم أخيرا مزاب وذلك بعد أن ضاقت أريغ بإباضيتها، فكان القرار الذي تمخَّض عن المؤتمر الإباضي بالانتقال إلى مزاب سنة 420هـ/1029م، وبذلك أحيا الفرسطائي فكرا إباضيا يعتمد أساسا على العناية بالمجال الديني والعلمي والاجتماعي معْرضا عن التفكير في قضية الحكم وتكوين الدولة، فكان النظام دستورا تربويا ينشئ الأجيال تلو الأجيال على المذهب الإباضي وفق تعاليم الدين الإسلامي القويم[54].

4- أثر التواصل الاجتماعي في انتقال الأفكار بين إباضية المغرب الأوسط والأدنى.

إن التواصل الذي عرفه الإباضية فيما بينهم -أو حتى مع إخوانهم في بلاد المشرق- بمختلف أشكاله من لقاءات وزيارات ورحلات علمية كان له أثر بالغ في تطوير الفكر الإباضي المغربي وتجديد معارفه، فالانتقال دوما يؤدي إلى نشر الأفكار ، وظهر ذلك جليا في المراحل الأولى لنشر المذهب ببلاد المغرب، حيث اعتمد أئمة المذهب بالمشرق على إرسال البعثات العلمية ليقوموا بمهمة الدعوة للفكر الإباضي، وفي مراحل متقدمة وبعد سقوط تاهرت اعتمدوا على الرحلات العلمية فُرادى وجماعات، إذ تعدّت العلاقات حينها من المجال السياسي والعسكري إلى المجال الاجتماعي والثقافي والفكري، وذلك من خلال زيارات الوفود لتفقُّد الأحوال وتوطيد أواصر الأخوة بين أتباع المذهب الواحد، إضافة إلى تنقلات العلماء من أجل نشر أفكار المذهب وتفقد أحواله قال البغطوري:" .. أن أهل هذه الدعوة يتزاورون يزور أهل المشرق أهل المغرب ويزورهم أهل المغرب فكانوا كذلك زمانا من الدهر"[55].

ولا غرو أن رحلة الحج إلى بيت اللّه الحرام كانت من أهم أشكال ربط العلاقات بين حواضر الإباضية، حيث فتحت رحلات الحج جسور التواصل الاجتماعي والثقافي بين تلك الحواضر، شرقيّها وغربيّها، يقول الأستاذ الباحث إبراهيم بحاز في ذلك:" ولعل الحج يعتبر أهم وسيلة ربطت المغرب بالمشرق، ولا يزال، وقد تجاوب المغاربة مع هذا الركن من الدين، وتحمّسوا له، فكانت أمنية الواحد منهم منذ أن حسُن إسلامهم أن يقوم بهذه الرحلة الدينية العلمية، ولا يزال هذا الشعور فيهم قائما"[56].

وأسهمت رحلة الحج السنوية في توطيد العلاقات بين إباضية المغرب الأوسط وإباضية افريقية وجربة، وكذلك بينهم وبين إباضية جبل نفوسة، فقد رُوي عن علماء الجريد ووارجلان أنهم كانوا يحجُّون جماعات ووفود؛ بحيث ينطلق الركب من حواضر المغرب الأوسط كمزاب ووارجلان وأريغ وأسوف، ثم ينتقلون إلى بلاد الجريد؛ فيلحق بهم إباضيتها؛ ومنها إلى جربة المعقل الكبير للإباضية بالمغرب الأدنى، ثم جبل دمّر، ثم ينتقل الركب إلى جبل نفوسة، أين يكتمل الركب الإباضي ليتوجّه منه نحو مصر والشام، وصولا إلى بلاد الحجاز، فكان إباضية المغرب يستغلون فترة الحج في طلب العلم، وعقد المناظرات والاستفادة من بعضهم، فقد ذكر الدرجيني وفد الحج الذي ضمّ كبار علماء من وارجلان وبلاد الجريد، وفيهم من الجريد الشيخ يخلف بن يخلف التميجاري وهو جدُّ الدرجيني صاحب الطبقات، وفيهم أيضا أبو عبد اللّه محمد بن سعيد الوسياني، ومن علماء وارجلان كان أبو يعقوب يوسف بن خلفون المزاتي الوارجلاني صاحب الأجوبة الفقهية، فساروا كلهم إلى البيت الحرام؛ فأدركوا هنالك ركب إخوانهم في المذهب من أهل عمان؛ ومعهم فقيههم الذي حجّ بهم يسمى"ناجية بن

ناجية" فاستفاد الطرفان من بعضهما أيَّما استفادة حتى قال أبو عبد اللّه: حججنا حجّة لم يحجّها مغربي وهبي قبلنا ولا بعدنا، وذلك أنه لا يضيق الحال بأحد من أصحابنا أو تنزل عليه نازلة من مسائل المناسك أو غيرها من مسائل الدنيا إلا والاها أحد الفقهاء الثلاثة، فيجد عنده الشفاء فيما يأتي أو يذر[57].

ومن أشكال التواصل الذي نتج عنه انتقال الأفكار أيضا ما يعرف بالبعثات العلمية، التي انتهجها علماء الإباضية بالمغرب كإستراتيجية مهمة لنقل الفكر الإباضي منذ العهد الرستمي، حيث كان إباضية جبل نفوسة وجربة والجريد وقابس وجبل دمر ووارجلان يبعثون إلى تاهرت طلبتهم من أجل التتلمذ على الأئمة[58]، واستمرّ التواصل العلمي بعد سقوط تاهرت إذ تروي المصادر - على سبيل المثال لا الحصر- عن أبي الربيع سليمان بن زرقون النفوسي(القرن4هـ/10م) أنه لازم شيخه ابن الجمع واستقر معه في توزر بالمغرب الأدنى؛ ثم انتقل معه إلى سجلماسة ليكمل تتلمذه عليه، وكان بسجلماسة جالية كبيرة من أهل الدعوة الإباضية، ازدادت مكانة بعد معركة مانو سنة 283ه/896م التي فُقد فيها كثير من علماء الإباضية، فقصد طلبة بلاد الجريد وجربة ووارجلان سجلماسة لطلب العلم؛ وفيها إذ ذاك علماء أجلاّء كان التعليم بهم مزدهرا[59]، ومكث أبو الربيع بسجلماسة سنين مغتنما فرصة مرافقة شيخه في تحصيل العلم عليه، وأمضى هنالك فترة صالحة من شبابه في الكفاح من أجل المعرفة[60]، وقد أدلى بدلوه في نشر تعاليم المذهب الإباضي بها، ولما توفي ابن الجمع عاد أبو الربيع إلى قسطيلية بتوزر، وقد بلغ في العلم مبلغا عظيما ونال إعجاب شيخه الذي تفرّس بأنه سيكون خليفته في العلم حتى أوصى له بجميع كتبه، واستمرت سجلماسة في اتصال به بعد مغادرته لها، وذلك نتيجة الأثر الطيب الذي تركه عندهم فكانوا يبعثون له بغية الاستشارة والاستفتاء[61]، ومن ذلك إرسالهم إليه رسولين يستفتيانه في مسألة اختلفوا فيها حتى كاد أن ينشب بينهم القتال، واتفقوا على أن يقفوا عند إجابة الشيخ ويعملوا بها، فما كان من أبي الربيع إلا أن أجاب بجواب قطع به اختلافهم وأوجب ائتلافهم[62].

ومن أمثلة التواصل بين علماء الإباضية نذكر انتقال أبي القاسم يزيد بن مخلد وأبي خزر يغلا بن زلتاف الوسيانيان(القرن4هـ/10م) وهما من أهل الحامة، وقد كانا يخرجان إلى البادية ويتصلون بقاطنيها فيذكّرونهم ما نسُوا من أمور دينهم، ويعلّمونهم ما جهلوا، ويتفقّدون أحوالهم، لئلاّ يغيّروا أو يضيّعوا مذهبهم، كما كان أبو القاسم كثير الانتقال إلى القيروان ينشر بها مذهبه ويلتقي مع إخوانه في المذهب فيستفتونه فيجيبهم حتى عظمت منزلته عندهم[63]، وظل الشيخان ينتقلان في أحياء مزاتة بمعيَّة طلبتهم خاصة في فصل الربيع، فينزلون بها ضيوفا يعلمون الناس العلم فيأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر[64].

واشتهر أيضا طلبة جربة بكثرة التنقل والترحال طلبا للعلم، وهو ما أهّلهم إلى أن يكونوا من كبار فقهاء الإباضية، وتشير المصادر إلى أبي مسور يسجا(أواخر القرن3هـ/9م) الذي هاجر من بلاد الجريد نحو جبل نفوسة طلبا للعلم، فقرأ على أبي معروف بن جواد(القرن3هـ/9م) وأبي زكريا يحي بن يونس السدراتي[65]، واشتغل بانتساخ الكتب، ولم يكتف بالنسخ بل كان ينسخ ويذاكر ويحفظ ما تيسر له، حتى أنه لما أراد شيخه أبو معروف تنبيهه لذلك قائلا له: "هذه تجارة بائرة يا يسجا" وجده متفطنا وردّ عليه بقوله:" نعم لمن ضيّع دراستها واتكل على خزنها" وهو ما أراده منه شيخه[66]، كما انتقل بعد أن أنهى غرضه من الجبل إلى جزيرة جربة، وإذا كان الدافع من انتقاله إلى الجبل تعليميا فإن سبب انتقاله إلى جربة دعويا، حيث بلغه خبر سيطرة الخلفية عليها فأراد إحياء الوهبية بها وإرجاع سكانها إلى مذهب الأئمة[67]، والظاهر أن ما قام به أبو مسور في الجزيرة قد خدم المذهب الإباضي من جهتين؛ الأولى أنه قام بتجديد روحي للمذهب بالجزيرة من خلال المجهودات الدعوية والعلمية التي قام بها؛ ومن جهة أخرى حفظ بانتقاله علم علماء الجبل الذي كاد أن يندثر نتيجة معركة مانو التي قتل فيها أغلب علماء نفوسة، فكان أبو مسور بمثابة وعاء حفظ لعلم علماء الجبل إما عن طريقة ملكة حفظه القوية أو عن طريق مجهوداته في نسخ التآليف والمصنفات، كل ذلك حمله إلى الجزيرة التي استفادت أيما إفادة من ذلك؛ حيث كانت تلك التصانيف ركيزة للتطور الفكري والعلمي في الجزيرة[68].

ومن علماء المغرب الأوسط الذين اتخذوا من التنقلات والزيارات سبيلا لنشر أفكار المذهب الإباضي عن طريق الوعظ والإرشاد وعقد مجالس العلم الشيخ أبو عبد اللّه محمد بن داود التونيني الأريغي[69](ت رمضان 555هـ/1160م) والذي تشير الروايات إلى أنه دخل جربة زائرا، فاجتمع أهلها إلى مجالسه وحلقاته العلمية فوعظهم وذكّرهم وخصّهم بها واحدا بعد واحد، حتى أفضت النوبة إلى الشيخ أبي مسعود والد أبي يحي فصيل[70]، قال: بلغني أنك تداين ضعفاء جربة، ثم تأتيهم لتتقاضى دينك، فيدخلهم الروع إذا عرفوك، فيقولون: هذا ابن أبي زكريا قد أقبل، فعل اللّه به وصنع، أترضى لنفسك ولأبويك هذا؛ فتاب وتجنّب المداينات[71]، وبمثل هذا الصنيع أحيا مشايخ الإباضية مذهبهم ونشروا فكرهم، فكانوا يترددون على الحواضر الإباضية يعِظون ويذكِّرون مقوّمين ومصوّبين حتى تمكّن المذهب من نفوس الأتباع وثبُت في تلك الحواضر زمنا طويلا.

وهناك شكل آخر من أشكال التواصل أدى دوره في نقل الفكر وهو التنقلات الجماعية أو تنقلات الوفود إذ يروي الشماخي توجّه مشايخ افريقية إلى طرابلس، ثم اجتمعوا معا للتوجّه إلى جزيرة جربة، وذلك بغرض إنهاء جدلٍ وقع بين أهلها حول مسائل خلافية وذلك على عهد أبي محمد جمال المزاتي(القرن4هـ/10م)، فاتفق المشايخ أنهم لا يتكلّمون إلا بقول واحد في مختلف المسائل، فدخلوا جربة فحضر شيوخها مجلساً جمعهم، فوقع الكلام في مسائل الطهارة، فكانت كلمتهم واحدة ولم

يشذ إلا أبو محمد، وكان أبو مسور حاضرا فقال: العالم مثل الأجدل إذا حلّق ضرب، منبّها إلى أن الصواب مع ما ذهبت إليه الجماعة[72].

كما قام بعض مشايخ جربة خلال القرن4هـ/10م برحلة علمية جماعية جابوا خلالها مناطق كثيرة بافريقية والمغرب الأوسط، وزاروا عددا من المشايخ طلبا للعلم؛ وممن كان في الركب أبو مسور وأبو صالح بكر بن قاسم اليراسني وأبو موسى عيسى بن السمح ومن معهم من المشايخ؛ فقصدوا أبا يحي سليمان بن ماطوس الشروسي النفوسي بجبل نفوسة ومكثوا عنده مدة يقرأون العلم عليه[73]، ذلك أن ابن ماطوس شاع علمه في كل تجمّعات الإباضية، وبلغت فتياه جميع حواضر الإباضية؛ من جربة إلى أمسنان إلى وارجلان حتى لحقت بأرض يقال لها "سلام ليك"[74] في المغرب[75]، ولما نالوا غرضهم من ابن ماطوس انتقل وفد جربة إلى افريقية ثم إلى سلام ليك فدرسوا فيها الكتب زمانا، ثم رجعوا يعرضون على ابن ماطوس ما درسوه ويصحّحون ما قرأوا في تلك المدة حتى بلغوا في العلم مرتبة عظيمة[76].

كما أورد الوسياني زيارة شيوخ طرابلس إلى بلاد الجريد وافريقية وأريغ، لتفقّد أحوال أهل مذهبهم، فإن وجدوا ما يخالف المذهب نبذوه، وإن وقفوا على إعوجاج قوّموه، وعند وصولهم "وغلانة" (ببلاد أريغ بالمغرب الأوسط) وجدوا أهلها استقضوا على أنفسهم فتى حديث السنّ لم يلبث وأن دخل العزابة، فقالوا لهم: لما جعلتم في أموركم فتى حديث السن غير مجرِّبٍ للأمور، فردّ عليهم شيوخ وغلانة: "آجركم اللّه على حسّكم للإيمان وأهله، ورأفتكم فيه، وتفقّدكم أموره، واجتهادكم ونظركم وما يصلحه، رأينا هذا الفتى في الثورة والثروة، ورأينا الأمور إليه تصير وعليه تدور؛ فجعلناه على أمورنا في حياتنا ..نؤدّبه ونهذّبه ما دمنا أحياء، ونعدّله إذا عثر، ونشمّره إذا لم يعزم، ونسدّده إذا لان"[77]، فكان الفتى على الصلاح والاستقامة في حياتهم وبعد مماتهم، واتفقت الألسن فيه على الخير، وقد اطمأنّ مشايخ طرابلس على أهل وغلانة لمَّا عرفوا حرص شيوخها على مراقبة ومتابعة من ولُّوه أمورهم بالنصح والتوجيه والإرشاد.

خاتمة

وما يمكن استخلاصه من هذه العجالة البحثية أن إباضية المغرب على مرّ تاريخهم قد عاشوا حالة من اللاإستقرار واللاأمن فرضتها عليهم الظروف الحياتية والواقع السياسي المتسم بالتسلّط والاستبداد وعدم قبول المخالف، ومن أجل التلاؤم مع ذلك الواقع ومسايرته اعتمد الإباضية التواصل فيما بينهم كأسلوب ناجع يستطيعون من خلاله الحفاظ على مجتمعهم، فمن جهة مكنهم أسلوب التواصل من نقل فكرهم ونشره في بلاد المغرب وذلك اعتمادا على حركة العلماء والمشايخ بين حواضر بلاد المغرب، خاصة بين جربة وبلاد الجريد وبين أريغ ووارجلان، والذي كان التواصل الاجتماعي بينهم قويا ومتينا، ولا أدلّ على ذلك التواصل وحدة النظام المجتمعي الذي عرفته تلك

الحواضر عند تأسيس العزابة، إذ تم تعميمه على مستوى جميع الحواضر ببلاد المغرب، من جبل نفوسة إلى مزاب، وقد دفع نظام العزابة بالتواصل بين تلك الحواضر نحو النشاط والحركية.

ومن جهة أخرى استطاع إباضية المغرب بالاعتماد على أسلوب التواصل الابتعاد عن كل بؤر التوتر، والفرار من نقاط التماس مع المخالفين كلما اقتربوا منهم حتى آل الإباضية -بعد أن كانوا يسيطرون على مجال جغرافي واسع في الخط الجنوبي لبلاد المغرب- إلى الزوال في عديد الحواضر المغربية على غرار غدامس وبلاد الجريد وجبل دمر وأريغ وأسوف والزاب، وانحسروا بذلك في مناطق محدودة كجبل نفوسة وجربة ومزاب ولا زالوا بها إلى اليوم.

ويمكن في الأخير القول بأن إباضية المغرب حولوا هجرتهم القسرية وفرارهم من المخالفين إلى تواصل بين أتباعه المذهب الواحد؛ وإن كان مفروضا عنهم، غير أنهم حوَّلوه إلى نعمة تخدم مذهبهم وأتباعهم ، فبالتواصل استطاعوا إيجاد حياة آمنة في ظل مجتمع آمن، يجمعه وحدة الدين والمذهب والمصير المشترك.

الهوامش:

1- علاوة عمارة، "بين جبل الأوراس والواحات؛ ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الإباضية بالزاب(القرن2و3 هـ/8و9م)"، ترجمة عبد القادر مباركية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي-الجزائر ، العدد9، جانفي 2017م،ص253.

2- الباروني سليمان بن عبد اللّه باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، تحقيق أحمد كروم وعمر بازين ومصطفى بن ادريسو، ج2، دار البعث، ط3، الجزائر، 1423هـ/2002م، ص214-215.

3- عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1،بيروت، 1426هـ/2005 ،ص ص337،334 .

4 أبو القاسم سعد اللّه، تاريخ الجزائر الثقافي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، 2015 ،ص306.

5عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير(العصر الإسلامي)، ج2، دار النهضة العربية ، بيروت، 1981، ص593.

6 محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج3، طبع دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1383هـ/ 1963م، ص618.

7 عبد الرحمان بن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، ضبط الفهارس والحواشي لخليل شحادة، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،1421هـ/2000، ص160.

8 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج6،ص160.

9 نفسه ، ج6،ص160.

10 نفسه ، ج4،ص ص 48-51.

11 نفسه ، ج6،ص161.

12 ابن خلدون، مصدر سابق ج6، ص161.

13 أبو زكريا يحي الوارجلاني، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3،الجزائر، 1984. ص163.

14 أبو زكريا يحي الوارجلاني، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمان أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس، 1405هـ/1985م، ص164.

15 الدرجيني، مصدر سابق، ج1، ص105-106.

16 أبو زكريا يحي الوارجلاني، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمان أيوب، ص165.

17 فطيمة مطهري، مدينة تاهرت الرستمية، دراسة تاريخية وحضارية، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف معروف بالحاج، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009/ 2010، ص81.

18 وقد ذكر ابن حوقل مجموعة هذه المدن في شبكة متقاربة جنوب افريقية ببلاد الجريد فقال عنها:" ومما ظاهر هذه الديار- يقصد ديار المغرب الأوسط نقاوس وبلزمة والزاب- إلى نواحي البادية على طريق سجلماسة من افريقية مدينة سُماطة وهي من نفزاوة مدينة صالحة، وتدانيها مدينة بشّرى وهي أيضا ذات سور،...وقسطيلية مدينة أيضا كبيرة عليها سور حصين ولها نخل كثير والتمر والقصب بها كثير وهي مغوثة افريقية بتمورها. ينظر أبو القاسم ابن حوقل النصيبي(القرن4هـ/10م)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1996، ص92. ويشير ابن حوقل إلى أن تلك المدن كانت على المذهب الإباضي فقال:" وأما أهل قسطيلية وقفصة ونفطة والحامة وسماطة وبشّرى وأهل جبل نفوسة فشراة إباضية أو وهبية .. وكان أبو يزيد مخلد بن كيداد الثائر على الفاطميين من أهل سماطة ومن فراعنتهم". ينظر المصدر نفسه، ص93-94

19 مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، 1417هـ/1996م، ص45-46.

20 محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج3،د ط، ص618. كما ينظر محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي(حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ-296هـ)، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3، الكويت، 1408هـ/1987م، ص186.

21 مسعود مزهودي، جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط(21هـ-442هـ)، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط1،سلطنة عمان، 1431هـ/2010م، ص241.

22 ابن حوقل، صورة الأرض، ص93. كما ينظر مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، ص47.

23 فرحات الجعبيري، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المكتبة التاريخية للمعهد القومي للآثار والفنون، تونس، 1975، ص25.

24 سالم بن يعقوب: تاريخ جربة وعلمائها الإباضية، طبعة 1430هـ/2009م، تونس، ص81.

25 فرحات الجعبيري: نظام العزابة في جربة، ص25.

26 يذكر ابن حماد الصنهاجي أن أبا يزيد مخلد بن كيداد نشأ بتوزر بدرب الغلامسيين. ينظر ابن حماد أبو عبد اللّه محمد بن علي(ت628هـ/1231م)،أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار العدالة للطباعة، القاهرة ، ص53-54.

27 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4/ ص 52. وينظر أيضا ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان وليفي بروفنسال، ج1،دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983م ، ص 193.

28 ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج1، ص194.

29 الدرجيني، الطبقات،ج1، ص98-99.

30 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4،ص52.

31 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج4،ص54.

32 نفسه، ج6/ ص203-204.

33 نفسه، ج6/ ص205.

34 صالح باجية، الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، دار بوسلامة للطباعة و النشر، ط1 ، تونس ، 1976، ص127.

35 صالح باجية، الإباضية بالجريد، ص130.

36 علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط3، سلطنة عمان، ، 2008، الحلقة 3، ص542-543.

37 للتعمق في نتائجها ينظر:

Virginie Prevost : "Les enjeux de la bataille de Màn (283/896)", Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée [En ligne], 132l décembre2012 , mis en ligne le 06 juillet2012, consulté 06 juillet 2014 . URL : http://remmm.revues.org /7825. p75-90.

38 عوض محمد خليفات، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في افريقية في مرحلة الكتمان، مطبعة مجدلاوي للنشر والتوزيع، سلطنة عمان.ص19-20. مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، ص194-195. وينظر أيضا صالح بن عمر اسماوي، العزابة، الحلقة الأولى، ص 286-287. فرحات الجعبيري، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، ص25. عبد الرحمان عثمان حجازي: تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي، ص143-144.

39 Cyrille Aillet : L'ibàdisme ,une minorité au cœur de l'islam, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée (en ligne) ,132,décembre, mis en ligne 06 juillet 2012, consulté le 05juillet 2014,URL : http://remmm.revues.org/7752, p 4.

40 ينظر أكثر:

Allaoua amara: "La structuration des Ibàdites-wahabites au Maghreb (9e-15e siècle)", Annales islamologiques, Institut Français d'archéologie Orientale, 42 ,2008. , p266.

41 الدرجيني، الطبقات، ج1،ص110-121. إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، م3،ص417.

42 عوض محمد خليفات، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في افريقية في مرحلة الكتمان، ص21-22.

43 الدرجيني، الطبقات ، ج1، ص169.

44 المصدر نفسه، ج1 ، ص169-170.

45 ينظر ترجمته في : إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، م4، المطبعة العربية، ط1، القرارة غرداية الجزائر، ، 1420هـ/1999م ، ص894.

46 الشماخي، السير، ج2، ص570.

47 الدرجيني، الطبقات، ج1،ص171. مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، ص197.

48 فرحات الجعبيري، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية بجربة، ص181.

49 زهير تغلات، "في السيرة المسوريّة البكريّة، الحياة الثقافية"،مجلة وزارة الثقافة، تونس، عدد خاص بجربة العمق التاريخي والثراء الحضاري رقم 240، 2013م، 51 وما بعدها.

50 الدرجيني، الطبقات، ج1، ص172.

51 زهير تغلات، الفكر الإباضي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سورية، 2016، ص29.

52 أبو اليقظان إبراهيم، الإمام أبو عبد اللّه محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي، سلسلة مؤلفات الشيخ أبي اليقظان إبراهيم، التصوير بالقرارة في صيف 1406هـ/1986م، مخطوط بجمعية أبي إسحاق اطفيش، ورقة 23.

53 نقصد بالآن؛ زمن أبي اليقظان إبراهيم أي القرن14هـ/20م، وربما لا يزال المسجد إلى اليوم قائما. ينظر أبو اليقظان إبراهيم، الإمام أبو عبد اللّه محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي، ورقة 23.

54 أبو اليقظان إبراهيم، الإمام أبو عبد اللّه محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي، ورقة 35. كما ينظر علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة، ص129. كما ينظر

Allaoua amara: "La structuration des Ibàdites-wahabites au Maghreb (9e-15e siècle)", op cit , p266

55 مقرين بن محمد البغطوري، سير مشايخ نفوسة، تحقيق توفيق عباد الشقروني، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2008م، ص31.

56 إبراهيم بحّاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، ط1، الجزائر ،ص 390.

57 الدرجيني، الطبقات، ج2،ص320-321. الشماخي: السير، ج2، ص646.

58 أبو زكريا، كتاب السيرة، ص137. الدرجيني، الطبقات، ج2،ص150. الشماخي، السير، ج2،ص300.

59 سليمان بن داود، ثورة أبي يزيد جهاد لإعلاء كلمة اللّه، دار البعث، ط1، قسنطينة الجزائر، ، 1402هـ/1981م، ص26.

60 أبو زكريا، كتاب السيرة، ص183. علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثالثة، ص518.

61 إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، م3،ص417.عوض الشرقاوي، التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، سلسلة الأبحاث التاريخية 16، 2011م، ص160.

62 أبو زكريا، كتاب السيرة، ص183-184. الدرجيني، الطبقات، ج1،ص111-112. الشماخي ،السير، ص438-439.

63 أبو زكريا، كتاب السيرة ، ص195. الدرجيني، الطبقات، ج1،ص124.

64 يغلا بن زلتاف، الرد على جميع المخالفين من الخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرها، تحقيق عمرو خليفة النامي، تقديم الحاج سعيد مسعود بن إبراهيم وكروم الحاج أحمد بن حمو، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط1، سلطنة عمان ، 1428هـ/2008م، ص 16.

65 ينظر ترجمته في إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، م4/ص975. الشماخي، السير، ج3، ص935.

66 الدرجيني، الطبقات، ج1،ص159-160.

67 Virginie Prevost:" La Renaissance Des Ibàdites Wahbites à Djerba au 10emsiécle" , FOLIA ORIENTALIA , VOL40 ,2004.p176.

68 .Ibid, p 177-178

69 ينظر ترجمته في: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، م4،ص788.

70 ينظر ترجمته في: الشماخي، السير، ج3،ص1021.

71 نفسه، ج2،ص651.

72 الشماخي، السير ، ج2/ص453.

73 Virginie Prevost :" La Renaissance Des Ibàdites Wahbites à Djerba au 10emsiécle ", p176.

74 موضع بافريقية ذكر في القرن4هـ/10م يقع شمال نفزاوة. ينظر الشماخي، السير، ج3، ص857.

75 البغطوري، سير مشايخ نفوسة، ص86.

76 الشماخي،المصدر السابق، ج2،ص434-435.

77 الوسياني، المصدر الساق، ج1،ص452-453.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

1- ابن حماد أبو عبد اللّه محمد بن علي(ت628هـ/1231م): أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار العدالة للطباعة، القاهرة.

2- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي(القرن4هـ/10م) : صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1996.

3- ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، ضبط الفهارس والحواشي لخليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،1421هـ/ 2000، ج6.

4- ابن زلتاف يغلا: الرد على جميع المخالفين من الخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرها، تحقيق عمرو خليفة النامي، تقديم الحاج سعيد مسعود بن إبراهيم وكروم الحاج أحمد بن حمو، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان ، ط1، 1428هـ/2008م.

5- الدرجيني أبو العباس أحمد (ت670هـ): طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، من كتب التراث، ط2، ج1.

6- الشماخي أبو العباس : السير، تحقيق محمد حسن، دار المدار الإسلامي،بيروت لبنان، ط1، 2009، ج2.

7- المراكشي ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م ، ج1/ج2.

8- الوارجلاني أبو زكريا يحي: كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 1984 .

9- الوارجلاني أبو زكريا يحي: كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمان أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس، 1405هـ/1985م.

10 -مقرين بن محمد البغطوري: سير مشايخ نفوسة، تحقيق توفيق عباد الشقروني، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2008م.

المراجع العربية

1- أبو اليقظان إبراهيم: الإمام أبو عبد اللّه محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي، سلسلة مؤلفات الشيخ أبي اليقظان إبراهيم، التصوير بالقرارة في صيف 1406هـ/1986م، مخطوط بجمعية أبي إسحاق اطفيش.

2- اسماوي صالح بن عمر: العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر، ط1، 1429هـ/2008م.

3- باجية صالح: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، دار بوسلامة للطباعة و النشر، تونس، ط1، 1976.

4- الباروني سليمان بن عبد اللّه باشا : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، تحقيق أحمد كروم وعمر بازين ومصطفى بن ادريسو، دار البعث، الجزائر، ط3، 1423هـ/2002م، ج2.

5- بحاز إبراهيم : الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك ، الجزائر، ط1.

6- بحاز إبراهيم وآخرون: معجم أعلام الإباضية، المطبعة العربية، القرارة غرداية الجزائر،ط1، 1420هـ/1999م ، م4.

7- ابن داود سليمان: ثورة أبي يزيد جهاد لإعلاء كلمة اللّه، دار البعث، قسنطينة الجزائر، ط1، 1402هـ/1981م.

8- تاديوس ليفتسكي: مقالات مختارة ضمن دراسات استشراقية في المذهب الإباضي، بيت الغشام للنشر والترجمة، سلطنة عمان، ط1، 2014، ج1.

9- تغلات زهير: الفكر الإباضي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2016.

10- ـــــــــــــ: في السيرة المسوريّة البكريّة، الحياة الثقافية، وزارة الثقافة، تونس، عدد خاص بجربة العمق التاريخي والثراء الحضاري رقم 240، 2013م.

11- الجعبيري فرحات: نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المكتبة التاريخية للمعهد القومي للآثار والفنون، تونس،1975.

12- خليفات عوض محمد: النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في افريقية في مرحلة الكتمان، مطبعة مجدلاوي للنشر والتوزيع، سلطنة عمان.

13- ـــــــــــــــ: النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في افريقية في مرحلة الكتمان، مطبعة مجدلاوي للنشر والتوزيع، سلطنة عمان.

14- دبوز محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، طبع دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1383هـ/ 1963م، ج3.

15- سالم عبد العزيز: تاريخ المغرب الكبير(العصر الإسلامي)، دار النهضة العربية ، بيروت، 1981، ج2.

16- سعد اللّه أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2015 ،ج1.

17- الشرقاوي عوض: التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، سلسلة الأبحاث التاريخية 16، 2011م.

18- عثمان حجازي عبد الرحمان: تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الافريقي من القرن الأول حتى القرن العاشر هجري، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط1، 1421هـ/2000م.

19- علاوة عمارة: بين جبل الأوراس والواحات؛ ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الإباضية بالزاب (القرن2 و3 هـ/8 و9م)، ترجمة عبد القادر مباركية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي-الجزائر، العدد9، جانفي 2017م.

20- غلاب عبد الكريم: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1426هـ/2005 ، ج1.

21- مزهودي مسعود: الإباضية في المغرب الأوسط، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، 1417هـ/1996م.

22- مطهري فطيمة: مدينة تاهرت الرستمية، دراسة تاريخية وحضارية، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف معروف بالحاج، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009/ 2010.

23- معمر علي يحي: الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط3، 2008، الحلقة 3.

المراجع الأجنبية

1- Allaoua amara: La structuration des Ibàdites-wahabites au Maghreb (9e-15e siècle), Annales islamologiques, Institut Français d'archéologie Orientale, 42 ,2008.

2- Cyrille Aillet : L'ibàdisme ,une minorité au cœur de l'islam, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée (en ligne) ,132,décembre, mis en ligne 06 juillet 2012, consulté le 05juillet 2014,URL : http://remmm.revues.org/7752.

3- Virginie Prevost : "Les enjeux de la bataille de Màn (283/896)", Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée [En ligne], 132l décembre2012 , mis en ligne le 06 juillet2012, consulté 06 juillet 2014 . URL : http://remmm.revues.org /7825. p75-90

4- Virginie Prevost:" La Renaissance Des Ibàdites Wahbites à Djerba au 10emsiécle" , FOLIA ORIENTALIA , VOL40 ,2004.p176.